

الصحة والفراغ ثروات متاحة فهل من مشرّ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ الصِّحَّةُ والفراغُ ". رواه البخاري .

في هذا الحديث الشريف يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن نعمتين من أجلِّ النِّعم التي وهبنا الله تعالى، ألا وهما نعمة الصحة التي بها يستطيع الإنسان أداء الأعمال الهامة، ونعمة الفراغ التي يستطيع الإنسان ملأها بكل مفيد.

ومع أن هاتين النعمتين متاحتان لكثير من الناس، إلا أن التفريط فيهما سمة بارزة لكثير منهم، ولو أنهم عرفوا أهمية هذه النعم وعملوا على توظيفها فيما أراد الله تعالى لزدت نسب النجاح، والتميز بين أفراد المجتمع.

والنعمة الأولى هي الصحة، وهي نعمة لا ينتبه لها المرء غالباً إلا عند السقم، فالكيس من اغتتم هذه الصحة، وسخرها للعمل بما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة.

وأما النعمة الثانية فهي نعمة الفراغ، وهو الوقت الذي أتاحه الله تعالى للعبد ليعمل فيه قبل أن يعمل الوقت فيه، فكلُّ يومٍ يمرُّ يأخذ يوماً من عمر ابن آدم.

وللتأكيد على هذا أسرد بعضاً من الشخصيات التي حفظها لنا التاريخ،

والتي استطاعت أن تجمع بين حفظ الوقت وملئ الفراغ بما يعود عليها،

وعلى الأمة بالرقى والتحضر والتميز، ومن هؤلاء:

1- الإمام محمد بن جرير الطبري .

كان الإمام الطبري رحمه الله آية من الآيات في حفاظه على الوقت وإدارته له، وحرصه على ملنه بالتعلم والتعليم والكتابة والتأليف، حتى بلغت مؤلفاته العدد الكثير، يقول الخطيب البغدادي : " وسمعت السمسمي يحكي أن محمد ابن جرير مكث أربعين سنة، يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة ".

2- الإمام النووي .

لم تتجاوز حياة هذا العالم المبارك خمساً وأربعين سنة، ومع هذا فقد ملأها بالدراسة والعبادة والحفظ والتأليف، فكان فقيه الشافعية المقدم، ومحدث الفقهاء، وإمام الزهد والورع في زمانه، وقد بارك الله له في وقته وعمره، فأخرج للأمة المصنفات الرائعة في الفقه والحديث والزهد وغيرها، رحمه الله رحمة واسعة.

3- أبو الوفاء، علي بن عقيل الحنبلي.

يعدُّ ابن عقيل الحنبلي ممن احتلَّ الذروة في مقام المحافظة على الزمن، ومعرفة نفاسته، و غلاء قيمته، والحرص على ملء الأوقات بالأعمال الزاكيات،

وقد نقل عنه أنه قال : " إنني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا

أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم، وأنا في الثمانين أشدّ مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة " .

إن هذه النماذج المشرقة وغيرها الكثير، لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بالجد والعمل، وحسن إدارة الوقت واستغلاله، ولنا في أسلافنا أسوة حسنة، فالسير على طريقهم هو السبيل الوحيد للنهوض بالأمة من غياهب الكسل والخمول والجهل، إلى آفاق الحضارة والتقدم والرقي.

ومما يعين على تنظيم الوقت وحسن استغلاله والاستفادة منه:

1- الدعاء الصادق بأن يبارك الله سبحانه في الأوقات، وأن تكون عامرة بما يرضاه.

2- التوكل على الله، والأخذ بالأسباب المعينة على حفظ الوقت من الضياع، ومن ذلك:

أولاً: وضع خطة واضحة ومقسمة على مراحل، تحدد فيها المراحل بوقت يتناسب معها.

ثانياً: التخلص من كل الملهيات التي قد تعترض أو تعيق العمل.

ثالثاً: ترتيب الأولويات (الأهم فالمهم) .

رابعاً: تنمية صفة الانضباط الزمني.

3- النظر في سير الأعلام والمشاهير من السابقين واللاحقين، وتأمل الإنجازات التي قاموا بها، من أجل تنمية الشعور بأهمية الوقت، والاستفادة منه.

ختاماً، علينا أن نتذكر أن الصحة والفراغ نِعْمَ أتاحتها الله لكثير من البشر، ومع هذا فإن التميز والنجاح يبقى متاحاً لمن استطاع أن يستفيد من هذه النعم.

مختصر من مقال الكاتب: سامح عبد الإله.